قرأت لكم

القطّاع يحمل الضوء للمؤلف!

سامي الشاطبي

هل المؤلف مظلوم..مهضومة حقوقه الفكرية..معرضة للسرقة والنهب.. كيف يعي بحقوقه ..كيف يصون إبداعه ..عصارة جهده الفكري ..؟

أنها جملة من الأسئلة التي سعى الباحث والكاتب عبد الملك القطاع في كتابه الذي صدر مؤخرا عن دار عبادي والمعنون بـ"مبادئ وقواعد نظام الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة ومقترح مشروع تأسيسها في الجمهورية اليمنية" إلى الإجابة عنها بحرفية المشتغل في هذا المجال منذ ما يزيد عن الـ(20) عاما، وهو "موضوع غير معروف لدى الكثير من المؤلفين ومالكي الحقوق في اليمن ؛رغم أن نظام الإدارة الجماعية للمؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة قد عُرف وتطور في فرنسا عام1847م ، ومنذ ذلك التاريخ توالى الاهتمام بحركة تأسيس منظمات للإدارة الجماعية في مختلف دول العالم؛ لاسيما وقد أثبتت التجربة صعوبة واستحالة الممارسة الفردية للحقوق، وتأتي أهمية إنشاء هيئات للمؤلفين وأصحاب الحقوق المجاورة من كونها تحقق أهداف وتطلعات المبتكرين والمبدعين ،وتوفر لهم الوقت والجهد والمال صـ7"

أزقة علمية

تكوّن الإصدار من (4) مباحث..تناول المبحث الأول الحماية القانونية لحق المؤلف والحقوق المجاورة ، والمتمثلة بالحقوق الأدبية والحقوق المالية الاستئثارية ،وحق الحصول على مكافأة مالية مقابل انتفاع الغير بالمصنفات والأداءات.

فيما تناول المبحث الثاني الأطر القانونية الدولية لمصدر إرساء مبدأ نظام الإدارة الجماعية والمقصود بـالإدارة الجماعية "هو نظام إدارة حق المؤلف والحقوق المجاورة ؛ يفوِّض فيه مالكو الحقوق هيئة أو مكتباً معترفاً به قانوناً ؛ليتولى إدارة حقوقهم ورصد الانتفاع بمصنفاتهم ، والتفاوض مع المنتفعين والمستغلين ، ومنحهم التراخيص مقابل رسوم يقوم بتحصيلها وتوزيعها على مالكي الحقوق" .

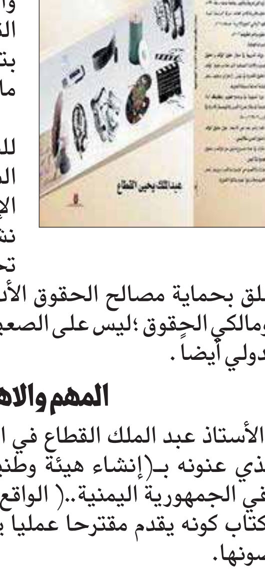

وتناول المبحث الثالث للطبيعة القانونية ونطاق السلطات الممنوحة لهيئات الإدارة الجماعية وطابع نشاطها الذي لا يهدف إلى تحقيق الأرباح ، وإنما تقديم منفعة تتعلق بحماية مصالح الحقوق الأدبية ، وإدارة الحقوق المالية للمؤلفين ومالكي الحقوق ؛ليس على الصعيد الوطني فحسب وإنما على الصعيد الدولي أيضاً .

المهم والاهم

يتناول الأستاذ عبد الملك القطاع في الفصل الخامس من المبحث الأخير والذي عنونه بـ(إنشاء هيئة وطنية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في الجمهورية اليمنية..(الواقع والطموح)) وهو برأيي أهم مباحث الكتاب كونه يقدم مقترحا عمليا يؤد إلى الحفاظ على حقوق المؤلف وصونها.

ما الحق الفكري؟

في البدء قدّم القطاع تعريفا حول قانون الحق الفكري " تم إصدار قانون الحق الفكري اليمني رقم (19) لسنة 1994م ،ويشتمل على شقين ؛الأول عن حق المؤلف وتختص به وزارة الثقافة ، والآخر عن موضوعات الملكية الصناعية وتختص به وزارة الصناعة والتجارة ، والتي قامت بإعداد وإصدار قوانين خاصة بموضوعات الملكية الصناعية ؛في حين كانت وزارة الثقافة هي السباقة بالشروع في عملية تحديث وتطوير الجانب التشريعي ؛ فقد أعدت منذ وقت مبكر مشروع قانون حقوق المؤلف والحقوق المجاورة ، والذي قُدِّم إلى مجلس الوزراء ووافق عليه وأحاله إلى مجلس النواب في شهر مايو 2008م لإقراره وإصداره ،ومنذ عام 2008 :2012م طرأت العديد من المتغيرات والتأثيرات على ميدان حقوق المؤلف والحقوق المجاورة جراء التزايد الكبير لأعمال القرصنة وانتهاك حقوق المؤلفين والحقوق المجاورة المحمية بموجب قانون حق المؤلف ،وقد أفضت عملية الاستنساخ والتخزين للموسيقى والكتب والبرامج .. وغيرها من السلع الثقافية بواسطة التقنيات الحديثة ؛كالذاكرات الرقمية ، الفلاشات ،وmp3 وmp4 ،والهاتف المحمول والأقراص المدمجة (CDs) ..وغيرها إلى إحداث تأثيرات على الإبداع والثقافة والاقتصاد؛فمن ناحية تسببت قرصنة الأعمال الموسيقية في حرمان منتجي التسجيلات ، وفناني التسجيلات والشعراء ، والملحنين ، والموسيقيين من العوائد المُستحقَة لهم من المبيعات ؛فيما لو كانت شرعية ؛كما ألحقت الأضرار بمبيعات التسجيلات الصوتية لمنتجي التسجيلات الصوتية ، وكبدتهم خسائر مادية ؛ مما انعكس على عملية الإنتاج الفني الصوتي ، وخلق حالة من الركود في سوق إنتاج وتوزيع التسجيلات الصوتية213صـ".

مكتب صون حق المؤلف

ويبدو القطاع ملحا في مسألة إنشاء جهة تُعنى بصون حقوق المؤلف حيث يتطرق في فصل في نفس المبحث المتصل بإنشاء مكتب لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في الجمهورية اليمنية إلى الواقع الحالي والإمكانات المتاحة لإنشاء المكتب ، ويقدم القطاع مبررات إنشاء مكتب وطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة ودوره في التنمية الوطنية بذكرها "يستطيع أصحاب حقوق المؤلف والحقوق المجاورة إدارة حقوقهم بأنفسهم؛ على سبيل المثال قيامهم بالتفاوض بصورة مباشرة على أداء مسرحية، أو نشر قصة، أو تسجيل مقطع موسيقي إلا أنهم غير قادرين على المتابعة والرقابة على استعمالات مصنفاتهم المحمية، والتفاوض مع المنتفعين والمستفيدين، وتحصيل الرسوم المستحقة لهم، وكما تبدو ــــ من الناحية العملية ــــ استحالة اتصال مستغلو المصنفات وغيرهم من المستخدمين المباشرين بجميع المؤلفين والملحنين والمنتجين للمصنفات الموسيقية الوطنية والأجنبية اتصالاً مباشراً ؛ للحصول على الأذن منهم واستخدام مصنفاتهم، والتفاوض حول تحديد المقابل..وغيرها من الشروط الأخرى،"

مقترحات

ويمضي القطاع في بحثه النادر إلى تقديم جملة من المقترحات لتنفيذ سياسة وتوجهات الدولة للنهوض بثقافة الملكية الفكرية " يخضع إنشاء الإدارة الجماعية (المكتب) للقانون العام ؛تنفيذاً للالتزامات والمتطلبات التي تضمنها مشروع الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، والمنصوص عليها في المادة(49) التي اختصت بإنشاء نظام الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، وتركت المجال مفتوحاً لاختيار الطابع القانوني لذلك الكيان120صـ" ..مؤكدا على أهمية إعادة مراجعة مشروع القانون وإدخال التعديلات والإضافات المطلوبة كإفراد نصوص ومواد تتعلق بإناطة مكتب حق المؤلف والحقوق المجاورة بمهام منح تراخيص الاستغلال، والتفاوض، وتحصيل العائدات من المنتفعين والمستخدمين للمصنفات وللأداءات؛ بما في ذلك محطات البث الإذاعي والتلفزيوني، والرسوم المستحقة على مختلف الأجهزة والوسائط المتعددة المُعدّة للاستنساخ أو التخزين وتوزيع العائدات على المؤلفين ومالكي الحقوق..وغيرها من المسائل الأخرى التي يجب أن يغطيها مشروع القانون.

حقوق مبددة

إن كتاب (مبادئ وقواعد نظام الإدارة الجماعية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة) لهو صرخة حقيقية في وجه من يستغلون ضعف الوعي الجمعي تجاه حقوق المؤلف ويحققون الثروات على حساب ضياع حقوق المؤلف وذهابها إدراج الجهل بالحقوق!

لذاكرة الآتي:

قراءة في السردية الشعبية اليمنية

المقالح عبدالكريم

• التدوين هو العنصر الوحيد الذي يجعل الجزء العضوي من الثقافة ثابتاً.
• الإصدار يعد بجدارة إضافة نوعية إلى حقل الموروث الشعبي/السردي.
• حرص الباحثة على إتباع المعايير العلمية المتعارف عليها في البحث العلمي والدراسة الموضوعية.. أكثر ما ميّز كتابها.

--1

" الذكرى: صورة من صور اللقاء" ، هكذا قال الأديب الخالد جبران خليل جبران..ومدى صدق المقولة هذه يتطابق تماماً مع معطيات واقعية..فالذكرى هي كل ما يتبقى للإنسان، بل ما يتبقى منه..لذا فإن إنسان بلا ذكرى إشارة إلى إنسان بلا وجود، عنصر سلبي في الحياة.. لا يمتلك مستقبلاً لأنه في الأساس لم يكن له ماض.

وكما أن الذكرى أنواع قد لا تحصى، فوسائلها على اختلاف وتباين.. إذ ثمة لحظة قدرية، تفصيل معين، وبلا توقع أو حسبان، تجدك فجأة هناك في زمان بعيد تلاشى وأمحى خلف جُدُر السنوات، كلمة مارقة ابتسامة شاحبة، لونٌ خاص، شكل مميز..إلخ

--2

والكتاب.. وسيلة مناسبة.. تذكرة سفر مجانية يعود بالإنسان إلى فراديس الذكرى الحميمة أو هو العكس، يرمي بك من حالق إلى ذكرى كلها جحيم.

وكلمة السر في الكتاب تعود إلى مادته سواءً كان شعراً أو نثراً..فسطر شعري أو مقطع نثري يفعل مفعول..عبارة لشخصية في قصة أو رواية، كما أن أوصاف الشخوص أو اصطدامهم بحوادث معينة في نص سردي يعود بالقارئ إلى بقعة مركونة في زاوية ما في الذاكرة.. وكالعنقاء التي تتجدد من الرماد تنهض الذكرى..!

قد يكون هذا من شائع المألوف، لكن المغاير له أن تصادف الذكرى في كتاب بحثي، مادته الأولى والأخيرة دراسة منهجية.هذا بالضبط ما سيفاجأ به القارئ ولا بد سيتأكد له ذلك بعد أن يكمل قراءة الإصدار الفريد لبيت الموروث الشعبي، قراءة في السردية الشعبية اليمنية «70 حكاية شعبية» للباحثة المبدعة «أروى عثمان».

--3

كونها جزء من الذاكرة العربية، لذا فإن الذاكرة اليمنية تغلب عليها صفة «النقل الشفاهي» وهو ما يعني نصف ذاكرة، وفي أسوأ الأحوال «ذاكرة مشوشة/مشلولة»..!!

إن الاعتماد على النقل الشفاهي يفضي إلى كوارث مهولة في البنية الاجتماعية داخل الوسط البيئي المعاش، وذلك بسبب عوامل متداخلة أهمها الزمن، فالذين يحفظون الروايات أو من عاصروا أحداثاً معينة لها مكانها الخاص في تاريخ أمة من الأمم..هم في الأساس المرجع الأول لما كان، لذا فإن عدم إخراج ما لديهم سيكون مهدداً بالتلاشي والفناء كلما تقدم بهم العمر، وهو ما يعني ضياع كم كبير من المحكيات والمشاهدات للأبد.

كما أن توريث ما يكنزه الإنسان في سجل ذاكرته بشكل شفاهي.. لا يخلو هو الآخر من مخاطر جمة، أولها: إغفال مجريات معينة بسبب التقدم في العمر، وثانيها: عدم ضمان محافظة المنقول إليه تلك المجريات على تسلسل الأحداث، إذ كلما زاد عدد متناقلي الحكاية/ الحدث كلما لاحظنا دخول إضافات أو وجود نواقص لاعتبارات شتى تعود في جلها إلى شخصية الراوي/ الناقل ونوع وحجم ثقافته البيئية ومؤثراتها التي قد تفرض عليه اتخاذ موقف معين من حدث ما أو شخصية شاركت بالأحداث مع سلوك لا يتوافق مع سلوكيات هذا الراوي الجديد.

ولعل ارتكاز الذاكرة العربية عامة واليمنية خاصة على النقل الشفاهي عائد بدرجة أولى إلى أسلوب النظر إلى هذا التراث المتناقل واعتباره في الأساس مجرد «حكي» يقال بهدف الثرثرة أو التسلية أو اللهو، لذا فإن إغفال أهمية هذا التراث ينعكس عليه بصورة سلبية.

مما يجعله أبعد ما يكون عن التدوين الذي لا بد سيكون حاميه الأول والأخير من الضياع والتشويه، ولعل الأهم من هذا كله أن التدوين- حسب عبدالرحمن منيف- هو العنصر الوحيد الذي يجعل الجزء العضوي من الثقافة ثابتاً، وتالياً مرجعاً يمكن الاطمئنان إليه، حتى لو تعددت الروايات أو اختلفت، إذ يمكن بجهد منظم، وباللجوء إلى الوسائل العلمية التثبت من إحدى الروايات المكتوبة وترجيحها مقارنة بغيرها، الأمر الذي يجعل التدوين في أية ثقافة كانت عنصر ترجيح وقوة، وبالنظر إلى حصيلتنا من هذا وذاك، يلاحظ الإنسان بدون عناء مدى ما نفتقر إليه في ميدان التدوين، ومن أراد إحصاء كم الكتب الصادرة من سرديات أو دراسات شعبية، سيصاب بالصدمة مرتين:

الأولى: ضآلة الرقم الذي سيصل إليه عند إحصائيته هذه.

الثانية: عند اكتشافه حجم القصور المؤسسي في هذا الجانب، إذ أن غالبية- إن لم يكن كل- الكتب الصادرة في هذا الجانب هي بفعل غيرة وإخلاص فرد واحد لا غير، أحس بقيمة هذه الثروة فعمل على تتبعها وتدوينها ومن ثم طباعتها في كتاب، ولعل ما يدهشك أكثر- إن لم يورث لديك الأسف المحبط- أنك لو شئت تبريراً لانعدام وغياب الاهتمام المؤسسي من مراكز البحوث أو المؤسسات الإبداعية، لا تجد أي مبرر ولا تلقى أي سبب قد تتحجج به أية جهة في حال تم استفسارها عن ذلك، إضافة إلى أنك ستجد مختلف التخصصات أو الأنشطة على اختلاف تلك المؤسسات الثقافية، لكن ليس لثمة واحدة متخصصة في الموروث الشعبي طبعاً عدا بيت الموروث الشعبي الأول في هذا المجال ولعله سيكون الرائد..

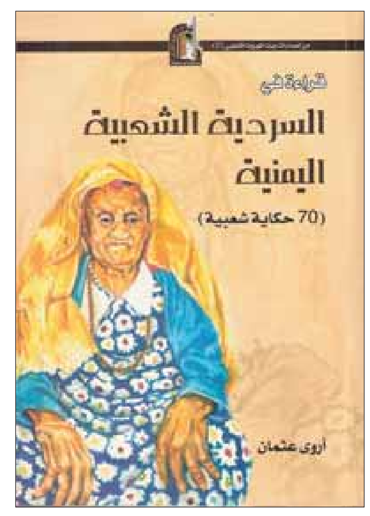

--4

على قلة الإصدارات المتخصصة في الموروث الحكائي الشعبي/اليمني..إلا أنها ذات اتجاهين الأول: مجموعة حكايات لأساطير ينقلها لنا المؤلف، الثاني: دراسات بحثية عن هذا المجال الأمر الذي يستدعي الإضافة النوعية لا الإضافة الكمية في حال فكر أحد الباحثين أو المهتمين بإعداد كتاب بهذا الخصوص..لا يكون «كمالة عدد» بقدر ما يجب أن يشكل مساهمة جادة، يضع الموروث الحكائي الشعبي في منعطف جديد يخرج به من حالة الركود أو المألوف إلى المغايرة الجديدة.

ولعل مثل هذه الحقيقة كفيلة بإخماد نار الحماس عند أي دارس أو باحث يفكر بخوض غمار هذه اللعبة، ولعل ذلك هو ما شكل هاجساً أولياً عند الباحثة المبدعة «أروى عثمان» قبل إقدامها على تجربتها الجديدة المتمثلة بالإصدار: قراءة في السردية الشعبية اليمنية «70 حكاية شعبية».

والكتاب يقع في «370» صفحة من القطع الكبير، وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام..الأول: الدراسة والمشتملة على عدة محاور، الثاني: النصوص الحكائية، الثالث: ألبوم صور فوتوغرافية من أرشيف الباحثة/مؤلفة الكتاب.

ولأن هذا الإصدار يعد بجدارة إضافة نوعية إلى حقل الموروث الشعبي/السردي، فإنه ينفرد عن الإصدارات السابقة بعدد من المميزات لعل أهمها ما يلي:

-1 إلى جانب الدراسة المنهجية.. لم يخل الكتاب من تثبيت مجموعة من الحكايات وهو ما يحسب للمبدعة الباحثة أروى عثمان ولعلنا للمرة الأولى سنتعرف على جوانب جداد في السرديات الشعبية وذلك من خلال الاضاءات البحثية التي قامت بها الباحثة في ثنايا دراستها حيث استطعنا في هذا الكتاب- أو منه- التعرف على :

-1 المؤثرات الداخلية والوافدة على الحكاية الشعبية: أهمها «الهجرات- التنوع الطبيعي»

-2 سمات الحكاية الشعبية اليمنية

مثل: «مطلع القص- البساطة والعمق- التشابه والتغاير- المبالغة- عدم الدخول في التفاصيل- حركة السلب والإيجاب».

-3 بعض وحدات الحكاية الشعبية اليمنية، وقد رصدت الباحثة هنا 13 وحدة مختلفة.

-4 تصنيف الحكايات: من اجتماعية- معتقدات- أمثال وتجارب إضافة إلى حكايات: الحيوان- والحيوانات التي تتحدث فيما بينها وحكايات : الألغاز والحكاية الفكهة وحكايات الجن.

-5 معوقات توثيق الحكاية الشعبية.

- 5

النقطة الثانية في انفراد الكتاب موضوعياً على ما سبقه هو كم الحكايات الشعبية التي ثبتتها الباحثة المؤلفة أروى عثمان وعددها «70» حكاية، إحدى هذه الحكايات وردت وثبتت بروايتين وهي حكاية علي بن الجارية.

وعدد الحكايات كبير جداً مقارنة بالإصدارات السابقة مثل:

- حكايات وأساطير يمنية/علي محمد عبده: 10 حكايات زاد عليها المؤلف حكايتين في طبعة الكتاب الثانية عام 1985م ليصبح العدد الإجمالي 12 حكاية.

- الحكايات الشعبية من التراث اليمني: محمد أحمد شهاب «33» حكاية.

أما في هذا الإصدار الجديد والذي ضم «70» حكاية فلعل مرد ذلك إلى:

أ- المدة الزمنية التي استغرقتها الباحثة في جمعها والتي دامت خلال الفترة «2002-1995م»

ب- تعدد واختلاف بيئات رواة تلك الحكايات الشعبية التي دونتها الباحثة، وهم تسعة رواة.. إضافة إلى مجموعة من طالبات مدرسة أسماء الثانوية بأمانة العاصمة- صنعاء، وأغلب هؤلاء الرواة من النساء ومعظمهن من كبيرات السن «حمامة إسماعيل 82 سنة- فاطمة أحمد صالح المطري 60 سنة- بنت عبده حسن سويد «أم محمد» 48 سنة- أم منصور عبده البرعي 40 سنة»، إضافة إلى فاطمة بامحيسون- فاطمة الريمي «خلقت في سنة الجوع»، وهناك يحيى علي مقبعة وعبدالله سعيد محمد العطار وكلاهما «27» سنة، أما غسان عوض حيدرة فقد «أخذ الحكايات من جدته» ص14.

--6

الميزة الثالثة: تجاوز الجهود السابقة فيما يخص التدوين، ففي حين عمد كلا من علي محمد عبده ومحمد أحمد شهاب إلى عدم تثبيت البدايات أو استهلالات الحكايات، حرصت الباحثة على عدم إسقاط ذلك تقول: «وهذه الاستهلالات هي ما استطعنا تدوينه حتى الآن من أفواه الرواة رجالاً ونساءً الذين ينحدرون من مناطق مختلفة من اليمن» ص34.

الاهتمام بالحكايات المدونة من حيث وضع العناوين إضافة إلى «صياغة الحكايات من اللهجات المختلفة بحيث تكون بلغة وسطى بين العامية والفصحى مع إبقاء بعض المفردات بلهجتها الأصلية» ص13

--7

الميزة الرابعة.. حرص الباحثة على إتباع المعايير العلمية المتعارف عليها في البحث العلمي والدراسة الموضوعية، وذلك من حيث تثبيت الهوامش وإرجاع كل معلومة إلى مصدرها الأصلي، إضافة إلى رد الاعتبار لرواة الحكايات الشعبية وإخراجهم إلى دائرة الضوء من خلال تثبيت أسماؤهم وصور ملونة للبعض منهم.

--8

«التدوين ليس مجرد مرحلة في التطور لثقافة من الثقافات، وإنما تغير نوعي، وانتقال جوهري في هذه الثقافة» كما يقول عبدالرحمن منيف، وهو ما يجعلنا ندرك حجم الأهمية الكبرى لمثل هذا الإصدار المتميز الذي لا يسع الإنسان معه إلا أن يشيد بجهود المبدعة الباحثة أروى عثمان والتي أثمرت الكثير.

--9

• عبدالرحمن منيف:
- رحلة ضوء
- الطبعة الأولى: 2001م
- المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- بيروت- لبنان
• أروى عثمان: قراءة في السردية الشعبية اليمنية «70 حكاية شعبية»
- الطبعة الأولى: 2005م
- من إصدارات بيت الموروث الشعبي اليمني «2»
- صنعاء

الشاعر شهاب غانم في أجمل انعتاقاته

كمال محمود علي اليماني

في عددها لشهر يناير من هذا العام، أصدرت مجلة الرافد الصادرة في الشارقة، كعادتها كل شهر، كتابا ملحقاً بها، وكان كتاب الشهر ديوان شعر للشاعر الجميل د. شهاب غانم، ولقد شرفني بأن أرسل لي نسخة الكترونية منه، سعدت بقراءتها، وعشت معها أوقاتاً حلوة، فأحببت أن أشركّكم في تذوق بعض من متعة تذوقتها .

الديوان واسمه ((انعتاق)) يقع في مئة صفحة، وضم بين دفتيه خمسا وعشرين قصيدة تنقل الشاعر فيها بين مواضيع متعددة، وطاف بالقارئ بين أجواء مختلفة، فمن قصيدة الرثاء إلى القصيدة الإخوانية، إلى العائلية، و يعرج به إلى القصيدة الوطنية حيناً والقومية والأممية حيناً آخر، ويحلق، بين الفينة والأخرى، في سماء الشعر الروحاني، وتسمو روحه عالية في حضرة الله جل في علاه .

وأحسب أن كثيرا من آراء الشاعر في الحياة وفي الناس، ونظرته للكون ومايعتمل فيه، وللعالم ،ومايشهده من تحولات وتغيرات ؛يتجلى واضحا في ثنايا قصائده، إذ حملت القصائد خلاصة تجربة الشاعر الثقافية والفلسفية والروحانية، ولعل جولة، وإن كانت سريعة، نتمشى فيها خلال جماليات شعره، ستظهر لنا، دون شك، كثيرا مما أرمي إليه .

فلنبدأ الجولة بقصيدة ((أكياس)) وهي أولى قصائد الديوان، ومن عنوانها تبدأ الدهشة، غير أن الدهشة تنجلي حين تفصح أبيات القصيدة عن مدلولها، فالشاعر يرى الناس في نظرته الفلسفية أشبه مايكونون بالأكياس، فهم وإن اختلفت أحجامهم وألوانهم إلا أنهم لايختلفون عن بعضهم البعض في مادتهم الأصلية، وإذا كان هناك من فرق بين الناس فإنما هو في الروح، فبها يسمون ويرتقون، وبغيرها يضحون أكياسا لاقيمة لها تتقاذفها الرياح وتمتلئ بها المزابل . واستمع إليه إذ يقول :

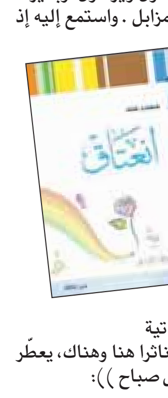

الناس
مثل الأكياس
لكن بيدين ورجلين وراس
والناس مثل الأكياس
لكن
بعيون، وبآذان، وبإحساس
ما الفرق إذاً بين الناس
أو قل بين الأكياس
الفرق الفارق في الروح
وفي العقل
وفي الإحساس

والديوان يعج بالشعر الحكمي المتأتي من خبرة حياتية عاشها الشاعر متأثرا بموروثة الديني والثقافي، نجده متناثرا هنا وهناك، يعطّر هذه القصيدة وتلك، فهاك قوله مثلاً، في قصيدته ((تفكّر كل صباح)):

نحن نسعى إلى سراب ووهم ..... وهباء في سعينا للبريق
كل مال وكل جاه سيفنَى .... وسيمضي الرفيق بعد الرفيق

وأقرأ معَي قوله فيً قصيدة رثى فيها شقيقه الراحل د. عصام غانم، فقال:

فاعمل لدنياك إن أحببت في هوسٍ ..... ستنتهي فجأة في عالم الروح
واعمل لآخراك إن أحببت متعظاً ..... بمن تولوا وكانوا زينة السوح
كل ابن أنثى له عمر وليس سوى ..... مشروع موتٍ مدى الأيام مفتوح

ولابد أن عين القارئ ستلحظ، بل إن روحه ستلحظ قبل عينه، هذا الجمال المتبدي في المقارنة بين حالتي الحب الدنيوي والأخروي، فالأول ارتسمت (في هوس) والأخرى ارتسمت (متعظاً)، والبون بينهما بعيد بعيد .

وَنجد الشعر الحكمي يتغلغل في ثنايا الشعر الروحاني الذي ازدها به الديوان، وإني لأزعم أن النفس الروحاني في ثنايا القصائد، قد منح الديوان زخما عاليا ورائعا، وسما بروح قارئه إلى عليين، وأزعم أيضا، أن الروحانية والنورانية التي يزخر بها الديوان، لتشير إلى إيمانية الشاعر ومحاولته التقرب إلى ربه وميله إلى تغليب الروح على الجسد، ذلك أنه يرى أن الروح خالدة والجسد فان وآيل للتراب، فتنبري كلماته دفاقة ترسم لنا ذلكم المعتقد المترسخ في ذاته كأجمل ماتكون الصورة ،وأروع مايكون البيان، فيقول في قصيدة ((تحدث إلى روحي)) :

وما أنت صوفي ولكن مهجة .... بجنبيك روحانية الشوق والهم
تحدث .. فإن الروح تبقى مقيمة ... ويمضي سريعا هيكل اللحم والعظم

وستترك قصيدة (من وراء الستار الحديدي) في أنفسنا أثرا لاينمحي بعد قراءتها ،فهي وإن كانت تحمل هما يثقل كاهل كل أنسان عاش في بلد طوّقت بستار حديدي يفصلها عن سواها، ويمنع عنها تنسم هواء الحرية، وهي وإن كانت تعمم ولاتخصص، وتغدو قابلة للتطابق مع كثير من بلدان المعمورة، إلا أن تاريخ كتابتها واسم المدينة (عدن) يزيل كل وهم، ويضع القارئ أمام حقيقة مؤداها، أن الشاعر إنما يتحدث عن معاناته هو وأمثاله الذين عاشوا في زمن الحكم الشمولي في عدن في سنوات الستار الحديدي والقبضة الحديدية ،تلك التي منعت بصيص النور من الانبثاق لجلاء ظلام ظل جاثما على عقول ونفوس العباد ؛ فنأسى على الحبيبة عدن، وعلى أهلها .

وإذا كان الشاعر د.عبدالعزيز المقالح قد أكد على حقيقة طلب النور بقوله :

سنظل نحفر في الجدار ..
إما فتحنا ثغرة للنور
أو متنا على وجه الجدار

في قول ثوري تحريضي، فإن شاعرنا قد تناول الأمر ذاته بقوله في القصيدة سالف الذكر :

أريد لو لحظة من سلام
وأحلم بالنور يولد بين الركام
بصيصاً
ففيضا يمزق حولي ستور الظلام
فأحظى بقهقهة في القتام

غير أن تلكم القهقهة الساخرة لاتثنيه عن حلمه النور، فتراه يردد في ختام القصيدة ..

أريد ..ولكن ..ولكن ..ولكن
أريد الخلاص
ولو دكني وابل من رصاص

وهاهو ذا القول الثوري التحريضي يتجدد هنا كما كان هناك .

وما أجملها من صورة متحركة بأنوار باهرة رسمتها كلمتان اثنتان (بصيصاً ففيضاً) جاءت الأولى متسللة منسلة، فغدت الثانية سيلا عارما من نور .

والشاعر ،يتنقل بين الشعر البيتي وشعر التفعيلة، وإن كان ميله للشعر البيتي طاغيا،بل ويتبدى حتى في ثنايا شعره التفعيلي، إذ تظل القافية والروي الواحد تطالع القارئ من أول القصيدة حتى خاتمتها؛ في إشارة واضحة لدعواي ميله ذاك.

وهم مسكون بالشعر ويدافع ويناضل عنه بقوة وإصرار، ويضع الشعر في الصدارة إذا ماحاول النثر مزاحمته، فترى الشاعر في المعركة القائمة بين فريقي أنصار الإبداع الشعري، وأنصار الإبداع النثري، ينحاز ودون مواربة للاصطفاف ضمن فريق المنتصر للإبداع الشعري، ويعلنها في صراحة لاغبش فيها ،أفضلية الشعر دون منازع ،وإن كان لم يغمط النثر حقه، وأبان حاجتنا إليه، فيقول:

ياشعر إنك أنت الشهد والعسلُ ... والنثر ماء به نروى ونغتسل
الماء ليس لنا عنه غنى أبداً .... والشعر متعتنا الكبرى ،هو القبل

ودفاع شاعرنا عن الشعر ليس وليد عاطفة جياشة وروح مرهفة فحسب، بل هو فعل واع انبنى على أساس من ثقافة عربية وإنسانية، ذلك أن للشعر رسالة عنده، لخصها بقوله مخاطبا إياه:

تعشق العدل والكرامة والصدقَ وتأبى الفساد .. تأبى الغبنا
وتسن الخلال والمثل العليا ومازلت للبراءة حصنا

مواضيع الديوان متعددة، كما أسلفت، ولو وقفنا عند كل موضوع لطال بنا المقام، لذا لانجد مندوحة من أن نرتشف من هنا رشفة، ومن هناك أخرى، وإن كانت الرشفات لاتغني عن العب الجميل .

وإنني لأزعم أن الشاعر شهاب غانم قد طرق موضوعات غير مطروقة، أو قل إنها نادرة الطرق، وقلما يلتفت إليها الشعراء، كالبيئة مثلا والدعوة للحفاظ على الأرض وما تحويه من أشجار وأحجار وأنهار وأزهار، وتجنيبها الحروب والدمار .

حتى العولمة تجد لها مكانا في شعره ،ترى الشاعر يقف منها موقف المستريب، فهو وإن كان لايرفضها إلا أنه لايأنس لها، ويتوجس منها خيفة، أليس هو القائل في قصيدة (العولمة):

أهي خير وشر ؟
خلطة مبهمة
ليس منه مفر
فاقترب، إنما في حذر
هاهنا لوحة للخطر
عظمتان مع جمجمة
ماهي العولمة ؟
ماهي العولمة ؟

ويطالعنا الهم الإنساني جلياً في قصيدة (انعتاق) التي حمل الديوان اسمها، وهي قصيدة الإدانة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لما زخر به القرن المنصرم من حروب أتت على أرواح ملايين من البشر ،وفيها إدانة عامة، وأخرى خاصة، لضحايا كوسوفو من إخوة الإسلام والإنسانية، الذين ضجت بأجسادهم المقابر الجماعية جراء همجية الصرب التي اقتاتت أجسادهم دون رحمة، يرفع الشاعر عقيرته فيها بالصوت المجلجل :لا .. يقولها قوية في وجه حضارة لم تستطع رغم ما وصلت إليه من تقدم ورقي علمي من أن تسمو بأرواح البشر وتنقذهم من حربين كونيتين وبضعة حروب متفرقة .

ويبلغ إحساسه بالقهر أوجّه متلبسا بتهكم استنكاري، متسائلا، في قوله في قصيدة (الموت والحضارات):

هو قرن الحواسيب
والطاقة النووية
والنعجة دولي
وقرن اقتحام القمر
بالجهل البشر
كيف حربان كونيتان
بذاكرة الناس لم تترك أثر
بالجهل البشر
بل لشر البشر

وها نحن نصل إلى قصيدة (بخبوخ) تلكم القصيدة التي يعتز بها الشاعر أيما اعتزاز ،حتى إنها تكاد تكون القصيدة المقدمة له في كثير من اللقاءات الشعرية ،وهي قصيدة مهداة إلى حفيدته هنوف . وبخبوخ-كما جاء في الحاشية – كلمة يقولها الحاوي في بعض البلدان العربية في لعبة إخفاء الأشياء، وهي قصيدة جد جميلة ،غير أنها لاتقرأ إلا متكاملة فلا ينفع التجزيء فيها، وأحسب أن وجود هذه القصيدة في مجموع قصائد الديوان ليؤكد تأكيدا قاطعا على صحة فرضيتي من أن الشاعر قد أحب أن يجمع بين دفتي هذا الديوان قصائد متعددة الأغراض والموضوعات تشي بمايمكن أن يجده القارئ في جنبات دواوينه الأخرى، أو قل إنه أراد أن يجعل من هذا الديوان مرآة تعكس صورة مصغرة لمجمل ماطرقه الشاعر في دواوينه السابقة .

ويأبى الشاعر الجميل د. شهاب غانم إلا أن تكون خاتمة الديوان مسك، فيضع قصيدة (ألا بذكرك قلبي يطمئن) في أجمل موضع، وكيف لاتكون الخاتمة المسك وهو يقول فيها :

وأول أنت قبل القبل من أزل ...... بالكاف والنون ياربّاه فتاح
ونور وجهك بعد البعد في ابد ...... يبقى كريما جليلا وهو وضاح
....
ألا بذكرك ياربّاه طمأنة .... واللغم عن جنبات الصدر ينداح
فأنت وحدك جبار ومقتدر ..... وأنت وحدك غفّار وصفّاح

الديوان كان صورة لفكر وثقافة ورؤية صاحبه للحياة وتصاريفها، وكان خير رسول، ينقل الصورة بأمانة متناهية، وحمل أريجا عاطرا، وروحانية سامقة، وحلق بنا في فضاءات متناهية من جماليات الشعر والصور والمحسنات البديعية، وكان بحق متعة الفكر والأدب .

من ذاكرة المكتبة

'ويكيبيديا' تحتفي بـ 'رؤية يمنية في أدب الرحلات'

في خضم هموم المثقف العربي في مشرقة ومغربة غداة ما عرف بالربيع العربي والذي كان له تداعيات لم تكن في بال الكثيرون، انشغلت النخب الثقافية بهموم الثورة في كل مفردات الإعلام ابتداء من الصحف التقليدية وانتهاء بمواقع التواصل الاجتماعي مرورا بالإعلام الفضائي وشبكة الانترنت عموما .

في هذه الأجواء تتوارى حركة النشر المعرفي والتي هي متواضعة أصلاً مقارنة بإمكانيات البلدان العربية المادية بعد الطفرة النفطية منذ نحو أربعة عقود مضت، ومقارنة أيضاً بتطور حالة الوعي بما كانت عليه قبل نحو نصف قرن .

ويتساءل الكثيرون لماذا نحن العرب أمة لا تقرأ مقارنة بأكثر الأمم، ولماذا لا تولي الحكومات العربية الاهتمام الكافي لنشر المعرفة، في هذه الأجواء العربية المسمومة بصراعات سياسية ومذهبية مقيتة شغلت الرأي العام عن البحث بما هو جديد، ولكن للمتتبع لما هو جديد في عالم النشر هناك تنوع زاخر بالمعرفة والإصدارات تتوالى وفي ما يخص الدراسات الإنسانية وفي أدب الرحلات تحديداً فقد نشرت بعض المواقع والصحف قبل بضعة أشهر ومنها هذا الموقع خبر صدور كتاب "رؤية يمنية في أدب الرحلات مشاهدات وانطباعات من الشرق والغرب"، للدبلوماسي اليمني السفير عبدالوهاب العمراني.

رغم قصر المدة لصدور هذا الكتاب إلا انه ترك اهتماما لافتا بين قراء عرب ويمنيين. ورغم أن الكتاب لا يزال في سنته الأولى، إلا انه لقي له أصداء واسعة في أوساط المتابعين والمهتمين لهذا النوع من الأدب، لقد نشرت مؤخرا مطلع العام الجاري الموسوعة العالمية نبذة عن هذا الكتاب واستطلعت ردود الأفعال في الوسط الأدبي والقراء بصورة عامة، ومعلوم أن الموسوعة العالمية (ويكبيديا) لا تنشر ملخصا تعريفيا لأي كتاب جديد أو حتى شخصية معروفة ولها تأثير اجتماعي او سياسي وغيره، إلا بعد تحري وتدقيق كاملين، فلجنة التحكيم للموسوعة العالمية قد أقرت مضمون الكتاب ومفرداته، ومدى مطابقته للمعايير الأكاديمية من جهة وكذا فائدته في الوسط الثقافي ومدى تقبل القارئ له في عالم الثقافة والنشر في الوطن العربي .

لقد أبرزت الموسوعة في سياق سردها تفاصيل مفردات كتاب رؤية يمنية في أدب الرحلات وأشارت بأن هذا المؤلف قد تضمن الحد الأدنى من متطلبات تلك النوعية من الكتب فقد تضمن مناهج متعددة في آن واحد سوى من حيث أسلوب الكاتب، ومنهج الكتابة، والغرض من الكتابة، والجمهور الذي يتوجه إليه الكاتب .

وفي هذا السياق أشارت الموسوعة إلى أن فكرة الكتاب تعتمد على الجمع بين أسلوب السيرة الذاتية وأدب الرحلات إلى جانب الرؤية الاجتماعية والفكرية للمجتمعات التي وصفها المؤلف وهو بهذا يصبغ عليه بُعداً ثقافيا وحضاريا ولاسيما وأنه في أكثر من محطة في مفرداته يتلمس القارئ البعد التاريخي إلى جانب سرد لملاحظات والمشاهدات للبلدان التي زارها مؤلف الكتاب سواء كان ذلك أثناء غربته الدراسية في جامعة بغداد أواخر السبعينيات أو حياته العملية كدبلوماسي أو كزائر بعيون الباحث العاشق للتاريخ وليس السائح العابر .

وهكذا فإن هذا الكتاب خلاصة رحلات لأكثر من ثلث قرن، وحسب مقدمة الكاتب فقد ذكر بأنه قبل إخراجه الكتاب بهذه الصورة كان قد رجع لعدد كبير من أمهات كتب الرحلات في العصور والغابرة والمعاصرة ناهيك عن استناده لدوريات عربية ومقالات ومواد إعلامية عن تلك البلدان التي وصفها في كتابه .

ومما جاء في الموسوعة في هذا السياق «اللافت بأن الكتاب ليس محصوراً في رصد رحلة الكاتب في عدد من البلدان بصيغة أدبية، وإنما تضمن في مقدمته الطويلة طرفاً من التعمق في هذا النوع من الأدب كدراسة نظرية لأدب الرحلات عند العرب والمسلمين منذ أكثر من ألف عام مضت وهو بداية ظهور هذا الجنس من الأدب في التراث العربي الإسلامي. حيث يؤرخ الكاتب بداية هذا النوع من الأدب في التراث العربي الإسلامي منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وما يليه من أكثر القرون إنتاجًا لأدب الرحلات ».

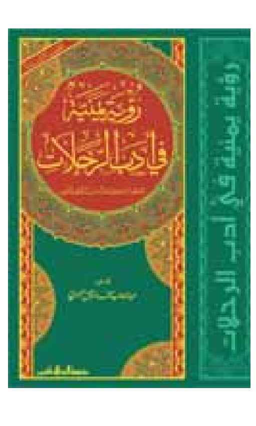

وتشير الموسوعة إلى أن الشيء المميز والجديد في هذا المؤلف بأنه تناول في مقدمته النظرية الطويلة ودور اليمنيين في أدب الرحلات فيذكر المؤلف العمراني بأنه رغم موقع اليمن الجغرافي المنعزل بين صحاري وبحَار فإن ذلك لم يمنع دوره ومساهمته في الشأن الثقافي والفكري عبر العصور ومن ذلك أدب الرحلات فبقدر مكانة اليمن في أفئدة الغربيين والعرب لاكتشافهم هذا البلد بقدر ما خرج منه رح 'الة يمنيون جابوا الآفاق وساهموا بتدوين رحلاتهم، ولعل الكثير ممن لا يشد 'هم أدب الرحلة من اليمنيين وغيرهم يجهلون إسهامات أعلام يمنيين مغمورين في إثراء المكتبة العربية من هذا النوع من الأدب .

وقد وصف أديب اليمن الكبير الدكتور عبدالعزيز المقالح الكتاب بأنه "ليس دراسة في أدب الرحلات فحسب لكنه فصل من فصول الرحلات المهمة التي حرصت على تقديم أجزاء عن هذا العالم عبر الانطباعات العميقة والمشاهدات المتأنية، مضيفا بقوله في المقدمة التي كتبها المؤلف أكثر من إشارة إلى أهمية الترحال وإلى ضرورة أن يكون الرحالة واعياً لهدفه باحثاً في البلدان التي يزورها – كما يقول- عن القيمة والمعنى، وليس عن التسلية وشغل القارئ بالسطحي من الأمور، وهذا ما يؤكد أنه كان قد استعد لذلك بقراءة قائمة من كتب الرحلات القديم منها والحديث ليتمكن في رحلاته الشرقية والغربية من تمثل القيمة والمعنى لهذه الرحلات، وأعتقد أنه نجح إلى حد، بعيد فجاءت رحلاته تحقيقاً لأهدافه، كما جاءت لغة الكتاب بديعة تلقائية خالية من التكلف والتصنع يمكن للقارئ متابعتها بسلاسة ويسر، وكلما قطع جزءاً من الكتاب زاد شوقه إلى استكمال بقية الأجزاء .

وبوصفي واحداً من أوائل قرائه أتمنى أن يواصل السفير عبدالوهاب العمراني كتاباته عن أسفاره الجديدة بالمستوى الأدبي الراقي وإخلاص الأديب المبدع".

في حين وصف الدكتور حميد العواضي وهو أكاديمي ومختص في علم اللسانيات وسفير سابق لليمن في اليونسكو في مقدمة الإصدار الثاني من هذا المؤلف واصفاً الكتاب بالجهد المميز مشيرا إلى ان المكتبة اليمنية تفتقر لهذا النوع من الكتب مقارنة بمجمل محتويات المكتبة العربية، ولعل المؤلف العمراني بكتابه هذا يعد أول مؤلف تناول بهذه الشمولية نطاقاً واسعاً من الدول والأماكن التي شملتها تلك المشاهدات أو في وصف أدب الرحلات كجانب نظري؛ حيث تضمنت مقدمة الكتاب طرفاً من تاريخ أدب الرحلات عند العرب وغيرهم منذ أقدم العصور وحتى عصرنا الحاضر، كما يحسب له أنه أوجز في هذا السياق دور اليمنيين في هذا الجنس من الكتابة .

وتكمن أهمية الكتاب في نظر الدكتور العواضي في أنه قد نجح في أن يجمع بين المنزع التقريري والمنزع التفسيري من ناحية، وبين الوجهة الأدبية والوجهة الإعلامية من ناحية ثانية، كما جمع بين الملاحظة الفردية والرأي العام المشهور، والخاطرة المرتجلة والمعلومة الموثقة .

وبالتالي فإن قراءة متأنية له تبوؤه موضعاً وسطاً بين أدب الرحلات والجغرافيا الثقافية والخواطر الذاتية. باعتبار أن الجغرافيا الثقافية تقربه من الاختصاص العلمي التقريري بما يتضمنه من معلومات فكرية وأدبية وفنية وتاريخية وسياسية واقتصادية وسياحية .